وأخذت « أبواقه » ترتب الدعاية والنشر له ، قامت قائمة الناس في فرنسا وسموه « النزعة الجنونية » لما يتضمنه من القضاء على الروح الاجتماعية والتضامن بين أهل البلد الواحد . ولهذا أجمعت الناس في فرنسا على جوحه وشره الفتاك ، وقاوموه بكل ما عندهم من قوة ، وأمكنهم — كما يذكر العلامة المدير — أن يقضوا عليه في عشرة أو خمسة عشر عاماً من ولادته ، ودفنوه « غير مأسوف عليه »

وأقول بعد ذلك : إن مذهب « الرمزية » من أصول الكثلكة [1] . فهي تذهب إلى نوع من التصوف يغمض كثيراً على عقول تابعيها . لهذا تعمد لتقريبه إلى أفهامهم إلى رموز خارجية محسوسة ، كل منها له معنى بعيد يكفل لهم نوعاً من الترجيح في التصور . وهي في هذا تسير على الخصوص مع تعاليم القديس أوغسطين الذي كان يعتقد أن ليس هناك دين صحيح أو باطل ، إلا وله ولتابعيه اتفاق محدود على رموز معينة لها مدلولات خاصة تنحصر فيها أفهامهم . وهذا ما دعا بعض الناس الى اتهام الكاثوليكية بالوثنية ، وعلى الخصوص عند ما صرح رؤساؤها بأن المذهب الغالب في تعاليم الكنيسة هو مذهب القديس توماس ؛ لأن هذا الحبر الكبير كان يخضع في تعاليمه إلى فلسفة أرسطو . والكل يعرف أن هذه فلسفة أرسطو هي فلسفة الصنم ، لأن أساسها كأساس سائر الفلسفات القديمة . وكذلك فلسفة ديكارت في العهد الحديث هي علم الألهيات ، وهذا العلم تنحصر ابحاثه في تحديد طبيعة العناصر الأولية التي بها يجب أن يتحقق الشكل الكامل في الهيولا المادية فيبدو ناصعاً كحقيقة وكفرض . وصحة قولنا هذا تؤيده نظرية تقسيم العلوم في هذه الفلسفات ، وما كتبه على الخصوص العلامة المشهور رائينسون وهاملان عن أرسطو .

عبد العزيز عزت
عضو بعثة الجامعة المصرية لدكتوراه الدولة

(١) إقرأ كتاب القسيس جيرودون وعنوانه « شرح المذهب الكاثوليكي » طبعة « بلون » صفحات ٣٢٨ ، ٣٨٢ ، ٣٢٠ . وأيضاً « قاموس الرمز » لقساوسة البندكتين للقديس لويس

من بريد الفكر

ينبغي أن نحترم أولئك الذين يحترمون الفكر . رأيت هذا الأسبوع واحداً من هؤلاء : هو طبيب فاضل ، طلبني في منزلي بالتليفون مرات ، ثم زارني في مكتبي مرتين دون أن يظفر بلقائي . ولم ييأس ، فحضر الثالثة فوجدني ، وأخبرني أنه يحتفظ بكل كتبي إلا كتاباً واحداً ، بحث عنه كثيراً فلم يجده . وهو يدفع فيه الآن أبهظ ثمن حتى لا تنقص مجموعته المجلدة أنفر تجليد . فلم يؤثر في نفسي أيضاً هذا الكلام ، وأحلته في اختصار إلى مكتبة باعته النسخة بضعف ثمنها . وإذا بخطاب شكر واعتراف بالجميل يصل الى من هذا الرجل في اليوم التالي . شكر على ماذا ؟ لست أدري . ولكني تأملت قليلا فخجلت . إن هذا الرجل يحترم الفكر في ذاته وينفق في سبيله الجهد والمال . إن هذا الرجل يشكرني وقد دفع ثمن النسخة بينما أراني قد أهديت كتبي تورطا أو حمقا الى أناس لم يعنوا حتى بارسال بطاقة شكر . وتذكرت أولئك الذين لا يفعلون شيئاً إلا أن ينتظروا أن تهدى اليهم كتبنا ليقرأوها متفضلين ، أولا يقرأوها مهملين . مثل هؤلاء ينبغي أن نحتقرهم مهما كانت مكانتهم . إن الفكر ما ارتفع قدره يوما إلا على أيدي رجال من طراز ذلك الطبيب الفاضل . وما صغر شأنه إلا على أيدي هذه المخلوقات التي تبذل مالها في كل شيء إلا في كتاب !

ولقد سرت عدوى هذا « التسول » الأدبي إلى الهيئات العلمية والثقافية . فقد جاءني كذلك هذا الأسبوع خطاب من دار الكتب الحكومية تطلب نسخاً من كتابي الجديد هدية أو « صدقة » ! وقد علمت أن الدار لها « مال » مخصص لاقتناء الكتب . ولكن ماذا نقول في زمن هانت فيه قيمة الفكر حتى بين الهيئات العلمية الرسمية ؟ إلا فليعلم الناس منذ اليوم أني سأبطل عادة « الهدايا » اسداء من كتابي القادم ، وأني لن أقدم جهدي إلا لقرائي المخلصين الذين يقدمون إليّ جهدهم وعنايتهم ومالهم . أما الآخرون فلن أعترف لهم بوجود . وإني منذ اليوم لن أحترم إلا من يحترم فكري ويسعى إليه ويبذل فيه ما يستطيع

توفيق الحكيم